خلود الأمومة

« مهداة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات »

للكاتبة الفاضلة « وفيقة »

لست أدرى لماذا أثرت فى نفسى أيما تأثير هذه الصورة التى فى أعلى هذه الصفحة ! منذ رأيتها وأنا أحاول التقاضى عن هذا التأثر الشديد بها؛ ولكنى لم أفلح. وكلما هممت بقراءة كتاب أو كتابة مقال ، شتت انتباهى ذلك المنظر ، وأخيراً لم أر بُداً من الكتابة عن الصورة ذاتها .

إن كل أم مهما كان طفيفاً يؤثر تأثيراً عظيماً فى حياة البشر وأخلاقهم .

قال وست West المصور : « إن قبلة واحدة من أمى جعلتنى مصوراً » .

وكتب فول بكستن Buxton إلى أمه بعدأن نال منصباً عالياً يقول : « إننى أشعر على الدوام بفتاح المبادئ التى غرستها فى عقلى » .

ووقفة جلالة الملكة نازلى فى هذه الصورة بين كبرى بناتها وصغراهن : صاحبة السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية ، وسمو الأميرة فتحية ، وقفة الأم الرءوم العطوف .

أنظر إلى سمات الحنو الأسرى على محياها ، وإلى التأثر البادى على قسماتها ! !

لسرى أيتها الأم الكريمة ، ماذا يكون جواب سمو الأميرة فوزية لو سئلت عن أثر هذا الحنو الدافق من كفك إلى كفها فى أرهب لحظة تفارقان فيها أرض الوطن العزيز ، وعن مبلغ أمومتك الكريمة فى حياتها وتكوينها ؟ !

سيكون جوابها دون تردد كما قال لورد لندبل ، عندما فطن إلى قدوة أمه الصالحة : « إذا وضع العالم بأسره فى كفة ميزان وأمى فى الكفة الأخرى رجحت عليه رجحاناً عظيماً » .

إنها تستمد من جلالتك القوة والشجاعة التى تستعين بهما على حياتها المستقبلة... ولست بهذين ضئيلة ولا متكلفة . فاغتبطى يا سمو الأميرة ، واهنئى بأمك الجليلة .

إن كل أم قوية كالطود ، صابرة كالزمن ، وادعة كالزهر ... إلا فيما يمس أولادها من قريب أو بعيد ، فهى إذن الرعد الدوى ، والفزع الثائر ، والقدر الذى لا يرحم . فالأولاد ثمرتها فى الحياة ، وبهم خلود الحياة ؛ وهم رأس مال آمالها ، ومعين سعادتها ، ومعقد رجائها على الدوام .

يالله ! إنى لا أحتمل النظر إلى يمناها التى تحوط الأميرة الصغيرة؛ ولا أستطيع أن أنظر إلى عينيها المبتلتين فراراً من مجابهة الواقع ... مبارحة وطن إلى حين ، ثم فراق ابنة عزيزة بعد حين ، تسلمها طائعة نزولاً على سنة الله ورسوله ، وانصياعاً لما هيأته الأقدار !

يا أيتها الأم العظيمة والملكة الكريمة ، إن صبر الملوك بملك الصبر ، وإن حنوك حنوّ غامر فى رقة سجايا ودماثة خلق ؛ وإذن فرحة قلبك تفيض على عالم بأسره فيطمئن

أيتها الأمهات ... أمام أعينكن نموذج الأم الصالحة المدبرة الشجاعة ، فاقتدين بجلالتها ، فإن مصر والشرق فى حاجة قصوى إلى الأمهات اليقظات الحكيمات .

والأم الصالحة المهذبة قوام الأسرة الكريمة الناجحة ، وما الوطن إلا مجموع أسرات، ونعم وطنا تكون هذه حال أسراته

(وفيقة)